الفصل الخامس والثمانون

في أوابد العرب

وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية ، بعضها يجري مجرى الديانات ، وبعضها يجري مجرى الاصطلاحات والعادات ، وبعضها يجري مجرى الخرافات ، وقد كانت قد هيمنت وسيطرت على عقليتهم ، ولا سيما تلك الأمور التي كانت تتصل بحياتهم . كالكهانة والحداسة والرقية والتنجيس والتنجيم ، وغير ذلك مما له علاقة بحياة الانسان حتى قيل انهم كانوا (بين متكهن وحدّاس وراق ومنجس ومتنجم)[1] .

الكهانة :

وفي طليعة بعض الناس الموهوبين ، بما لهم من قدرة خفية خارقة والهام ، الاتصال بالآلهة وبالأرواح . والاستئناس بها والأخذ منها ، والحصول على علم غزير منها يتعلق بالمستقبل عامة وبمستقبل كل إنسان خاصة ، أو التأثير عليها بصرف الخير الى شخص ودفع الأذى عنه،وبتوجيه الشر الى شخص يراد توجيهه اليه وإيذاؤه . ويقال للاتصال بالآلهة أو الأرواح لمعرفة المستقبل والتنبؤ عما سيحدث :

---

١ ارشاد الساري (٨/٤٠٠) ، صحيح مسلم (٧/٣٥ وما بعدها) ، عمدة القاري (٢١/٢٧٥) ، اللسان (١٧/٢٤٤) ، الروض الانف (١/١٣٦) ، مروج الذهب (٢/٨٢) ، (محمد محيي الدين عبد الحميد) .

(الكهانة) « Divination » ، ويقال لمن يقوم بذلك الكاهن . أما الذي يزعم أن في امكانه التحكم في الأرواح وتوجيهها الوجهة التي يريدها ، فيقال له (ساحر) ويقال لعمله (السحر) . وتقابل كلمة (السحر) في العربية كلمتا « Magic » و « Sorcery » في الانكليزية .

والكهانة في اللغة العربية تعاطي الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ومعرفة المغيّبات والأسرار ، وتقابل بهذا التعريف في العربية كلمة « Soothsayer » في الانكليزية . وتقابل كلمة (كاهن) لفظة (كوهين) « Kohen » في العبرانية و (كهنا) « Kahna » في لغة بني إرم ، وكلها من الأصل السامي القديم[1] .

ومن مرادفات الكاهن : (الطاغوت) . وبهذا التفسير فسر العلماء قوله تعالى: « فمن يكفر بالله ويؤمن بالطاغوت »[2] . قالوا : الطاغوت : الكاهن . وهم كهان تنزل عليهم شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم . والطواغيت التي كانوا يتحاكمون اليها ، كان في جهينة واحد ، وفي أسلم واحد ، وفي كل حي واحد. وهم كهان تنزل عليهم الشياطين[3] . وذكر بعض علماء التفسير ان الطاغوت : الشيطان في صورة انسان يتحاكمون اليه . وقد وردت اللفظة في موضع آخر من القرآن الكريم بعد لفظة (الجبت) ، اذ جاء في التنزيل : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت »[4] . وقد ذكروا ان الجبت السحر والساحر ، بلسان الحبشة والطاغوت الكاهن[5] . وان الجبت والطاغوت صنمان ، أو ان الجبت الأصنام والطاغوت تراجمة الأصنام ، والذين يكونون بين أيدي الأصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، أو ان الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له ، كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر أو انسان أو شيطان . وإذ كان ذلك كذلك . وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله ، فقد كانت جبوتاً وطواغيت.

---

١ ارشاد الساري ٨/٣٩٨) ، اللسان (١٣/٣٦٢ وما بعدها) ، (كهن) ، مفتاح السعادة، لطاش كبري زاده (١/٢٩٣ وما بعدها) ،
Nöldeke, Neue Beiträge Semitischen Sprachwissenschaft, S. 36.

٢ البقرة ، الرقم ٢ ، الآية ٢٥٦ .

٣ تفسير الطبري (٣/١٣ وما بعدها) .

٤ النساء ، الآية ٥١ .

٥ تفسير الطبري (٥/٨٤) .

وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تطيعها في معصية الله،وكذلك الساحر والكاهن اللذان كانا مقبولاً منهما ما قالا في أهل الشرك بالله ، وكذلك حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ، فكانا جبتين وطاغوتين[1] .

وذكر علماء التفسير في قوله تعالى : « ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به . ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً »[2] ، أن (الطاغوت) الكاهن الذي كان يحكم بين الناس ، ويتحاكمون اليه . وأنها نزلت في حق يهودي اختصم مع مسلم ، فكان المسلم أو المنافق يريد الاحتكام الى الكاهن ، وكان اليهودي يدعو الى النبي أو المسلمين ، لأنهم لا يقبلون الرشوة ، فاصطلحا أن يتحاكما الى كاهن من جهينة ، أو الى كاهن بالمدينة، أو الى كعب بن الأشرف، فنزل الوحي بتوبيخ ذلك المسلم أو المنافق[3] .

والتكهن عن المستقبل والتحدث عن الماضي ، موضوع له فروع عديدة . وقد عدّ علماً من العلوم عند كثير من الأمم ، وألفوا فيه . وتنبؤ الأصنام هو نوع من هذه الأنواع . ويدخل في التكهن التنبؤ بواسطة وسيط : مكالمة صنم ، أو (تابع) أي (رئي) ، وقراءة كبد الشاة وقراءة أعضائها كما كان عند البابليين وعند المصريين . والتكهن بحركات الطيور ، وتفسير الأحلام . وتفسير بعض الظواهر الطبيعية وما شابه ذلك وكل هذه كانت معروفة عند الجاهليين .

وليس من الضروري ان يكون التكهن بتكليم الصنم حتماً وفي المعبد بالضرورة، فقد كان من الكهان من يقيم في بيته ويتكهن مع ذلك للناس ، ينطق بما يوحى اليه وبما يشعر به . وقاصدوه يرون ان فيه قوة خارقة وقابلية لتلقي الوحي من تلك القوة التي يتصورونها على هيأة شخص غير منظور يلقي الى الكاهن الوحي ، فينطق بما يناسب المقام وبما يكون جواباً على الأسئلة التي توجه اليه . ويطلقون على ذلك الشخص الخفي اسم (تابع) أو (صاحب) أو (مولى) و (ولي) و (رئي) ، لأنه يكون تابعاً وصاحباً للكاهن . يتبعه ويصاحبه ويلقي اليه

---

١ تفسير الطبرى (٥/٨٣ وما بعدها) .
٢ سورة النساء ، الآية ٦٠ .
٣ تفسير الطبري (٥/٩٦ وما بعدها) .

(الرئي) . يكشف له الحجب ويأتيه بالأسرار . فهو (حاز) و (حزّاء) و (حازية) و (الرائي) في العهد القديم[1] .

وكان من رأي الجاهليين ان هناك وحياً يوحى الى الكاهن بما يقوله ، وقد قالوا لذلك المصدر الذي يوحي اليه : (شيطان الكاهن) ، كما قالوا للمصدر الذي يوحي الى الشاعر بوحي شعره : (شيطان الشاعر) ، ذلك لأن شيطان الكاهن يسترق السمع ويلقي به الى الكهنة[2] . يسترقه من السماء ، فيأتي به الى الكاهن ويلقي ما استرقه اليه ، فيلقي الكاهن ما ألقى عليه شيطانه الى الناس ، وبذلك يتنبأ لهم[3] . « سأل رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، ناسٌ عن الكهان ، فقال : ليسوا بشيء ، فقالوا : يا رسول الله ، انهم يحدثونا أحياناً بشيء ، فيكون حقاً ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : تلك الكلمة من الحق ، يخطفها من الجني فيقرها في اذن وليه ، فيخلطون معها مئة كذبة[4] » .

وقد وردت كلمة (كاهن) في القرآن الكريم في معرض الردّ على قريش الذين اتهموا الرسول بأنه (كاهن) . وبأنه يقول القرآن على نمط سجع الكهان. فجاء فيه : « فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون »[5] ، و « إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ، ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكرون »[6] . فرد عليهم بقوله : « ما هذا القرآن بقول شاعر ، لأن محمداً لا يحسن قيل الشعر ، فتقولوا هو شعر ، قليلاً ما تؤمنون . يقول تصدقون قليلاً به أنتم ، وذلك خطاب من الله لمشركي قريش . ولا بقول كاهن ، قليلاً ما تذكرون . يقول ولا هو بقول كاهن ، لأن محمداً ليس بكاهن ، فقولوا هو

---

١ Reste, S. 134, Shorter Ency., p. 207.

٢ تاج العروس (٣٢٦/٩ وما بعدها) ، اللسان (٢٤٤/١٧) ، الطبرسي (٣٤٩/٥ ، ٣٦٧) ، بلوغ الارب (٢٦٩/٢) ، مروج الذهب (١٧٢/٢ وما بعدها) ، مفتاح السعادة ، لطاش كبري زاده (١١٣/١ وما بعدها) ، ارشاد الساري (٣٩٨/٨) ، مقدمة ابن خلدون (١٠١/١ وما بعدها) .

٣ صبح الاعشى (٣٩٨/١) .

٤ ارشاد الساري (٤٠٠/٨) ، صحيح مسلم (٣٥/٧ وما بعدها) ، عمدة القارىء (٢٧٥/٢١) ، اللسان (٢٤٤/١٧) ، الروض الانف (١٣٦/١) ، نهاية الارب (١٢٨/٣) ، (في أخبار الكهان) .

٥ سورة الطور ، الآية ٢٩ ، تفسير الطبرى (١٨/٢٧) .

٦ الحاقة ، الآية ٤٢ .

ممن سجع الكهان »[1] . فكان للكهان أسلوب خاص في كلامهم عند التنبؤ والتكهن هـو أسلوب السجع . ولذلك عرف بـ (سجع الكهان) . وقد امتاز سجعهم هذا باستعمال الكلام الغامض ، والتعابير العامة الغامضة التي يمكن تفسيرها تفاسير متناقضة ومختلفة . وهو أسلوب تقتضيه طبيعة التكهن ، لكي لا يلزم الكاهن على ما يقوله من قول ربما لا يقع ، أو قد يقع العكس . ففي مثل هـذه الحالة ، يمكن أن يكون للكاهن مخرجٌ باستعماله هذا النوع من الكلام .

وقد ورد أن الرسول نهى عن محاكاة الكهان في سجعهم ، فذكر عنه قوله: « أسجعٌ كسجع الجاهلية »[2] .

ويذكر أهل الأخبار أن (تابع) الكاهن ، وهو شيطانه وجنيّه، كان يسترق في الجاهلية الأخبار من السماء ، فيلقي بها الى الكاهن المختص به . فيخبر الكاهن من يأتي اليه للكهانة . بقوا على ذلك الى ظهور النبوة ، فلما نزل الوحي انقطعت الكهانة ، إذ وجد الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع لهم شهاباً رصداً . وقالوا إن قوله تعالى : « وانّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً »[3] ، إنمـا عنى به هذا الحادث . حادث منع الشياطين من استراق السمع[4] .

ويذكر أهل الأخبار أيضاً ان « القذف بالنجوم قد كان قديماً ، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عوف بن الجزع ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبي خازم ، وكلهم جاهلي . وقد وصفوا الرمي بالنجوم »[5] . وان من عقائد أهل الجاهلية ان في تساقط النجوم والشهب دليـل على موت عظيم أو ميلاد مولود عظيم[6] . وذكر ان الرسول كان جالساً مع قومٍ من الأنصار إذ رمي بنجم فظهر نوره ، فقال لهم : ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في

---

١ تفسير الطبري (٢٩/٤٢) .
٢ البيان والتبيين (١/٢٨٧) .
٣ سورة الجن ، رقم ٧٢ ، الآية ٨ وما بعدها .
٤ تفسير الطبري (٢٩/٦٩ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٢/١٠) ، (المنيرية) ، نهاية الارب (٣/١٢٤ وما بعدها) ، مفتاح السـعادة (١/٢٩٣ وما بعدها) ، تاج العروس (٩/٣٢٦ وما بعدها) ، (كهن) ، مروج الذهب (٢/١٥٢ وما بعدها) .
٥ الروض الانف (١/١٣٥) .
٦ الروض الانف (١/١٣٦ وما بعدها) .

الجاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك ، ولد مولود[1] .

وقد جعل (المسعودي) حدة الأذهان مع نقصان الأجسام وتشويه الخلق ، من جملة العوامل التي دفعت على التكهن والإخبار عن الغيب . وضرب مثلاً على ذلك : شق ، وسطيح ، وسملقة ، وزوبعة ، وسديف بن هوماس ، وطريفة الكاهنة ، وعمران أخي مزيقياء ، وحارثة ، وجهينة ، وكاهنة باهلة وأشباههم من الكهان[2] .

وقد يلحق التابع من الجن أشخاصاً لم يشتهروا بالكهانة وإنما عرفوا بشدّة ذكائهم ومعرفتهم بعواقب الأمور، مثل (أحيحة بن الجُلاح) وكان من أشراف المدينة ، وقد اشتهر عندهم بكثرة صوابه وسرعة ادراكه للعواقب . فعللوا ذلك بوجود تابع له من الجن كان يعلمه المغيبات[3] .

قال (الجاحظ) : « وكانوا يقولون ، إذا ألف الجني إنساناً وتعطف عليه، وخبره ببعض الأخبار ، ووجد حسه ورأى خياله ، فإذا كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رئي من الجن . وممن يقولون ذلك فيه عمرو بن لحي بن قمعة، والمأمور الحارثي ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب .

فأما الكهان ، فمثل حارثة جهينة ، وكاهنة باهلة ، وغُزى سلمة ، ومثل شق وسطيح وأشباههم[4] .

والكهان يرون تابعهم ، وقد يتجلى لهم في صورة إنسان . ويظهر على صورة رجل للكواهن كذلك . فقد كان للغيطلة ، وهي على ما يزعمه أهل الأخبار كاهنة أبوها مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرّة ، وشنوق أخو مدلج ، تابع يفد اليها ، ويدخل غرفتها ، ويجلس تحتها . كما كان لفاطمة بنت النعمان النجارية ، وهي كاهنة كذلك ، تابع من الجن « كان إذا جاءها ، اقتحم عليها في بيتها . فلما كان في أول البعث، أتاها ، فقعد على حائط الدار ولم يدخل، فقالت له : لِمَ لا تدخل ؟ فقال : قد بعث نبي بتحريم الزنى »[5] .

---

١ السيرة الحلبية (١/١٤٠) .
٢ مروج (٢/١٥٤) .
٣ الاغاني (١٣/١١٥) « ذكر احيحة بن الجلاح » .
٤ الحيوان (٦/٢٠٣ وما بعدها) .
٥ الروض الانف (١/١٣٧) .

فالكاهن اذن ، هو الذي يتنبأ بواسطة تابع ، ولا يستطيع غير الكاهن رؤية التابع . وتكون الكهانة كلاماً يلقيه الكاهن نفسه ، أو تابعه ، جواباً عن أسئلة الكاهن . ولما كان التابع روحاً ، كان من الطبيعي تصور صدور ذلك الكلام من روح لا يمكن لمسها ولا رؤيتها ، ترى وتسمع وتعقل ، وتجيب ما يطلب منها الاجابة عنه .

ويكون الكاهن في أثناء تكهنه في غيبوبة أو في شبه غيبوبة في الغالب ، ذلك بأنه متصل في هذه الأثناء بعالم مجهد صعب لا يتحمله كل انسان، ولاتصال الروح فيه ، واتصال الروح بجسم الكاهن شيء جد عسير ، يتصبب العرق منه . خاصة اذا كان المتكلم الكاهن نفسه .

ويكون التكهن ، في الغالب ، في مكان هادىء تكتنفه ظلمة أو عتمة ، لأن للهدوء والظلام أثراً عظيماً في النفوس ، ويسبقه حرق بخور في الأكثر يستمر الى ما بعد انتهاء التنبؤ ، لأن البخور من الروائح الطيبـــة التي تؤثر في الأرواح ، فتجلبها الى المكان بسرعة . ثم إن له تأثيراً خاصاً في الأعصاب، وهو بذلك مادة صالحة في الايحاء لمن يقصد استشارة الكهان .

ويروي الأخباريون ان الناس كانوا اذا قدموا على الكهان امتحنوهم ليتأكدوا من صدق تكهنهم ومقدار علمهم . وذلك باخفاء شيء اخفاءً لا يمكن الاهتداء اليه ، أو بوضع لغز ، أو ما شابه ذلك ، فيبدؤون الكاهن بالسؤال عنه . فاذا أجاب جواباً دل على معرفة وسعة علم ، سألوه عن الأمر الذي عندهم والذي من أجله قصدوه . ويكون لهؤلاء الكهان أجر يدفع اليهم . والعرف الغالب ان الكهانة لا تكون ولا تصح إلا بتقديم شيء للكاهن ، لأن التابع لا يرضى بالتنبؤ إلا اذا رأى حلاوة التنبؤ .

ومن قبيل الامتحانات التي امتحن بها الكهان ، امتحان (عتبة بن ربيعة) الى بعض كهان اليمن ليتأكد من صدق تكهنه قبل النظر في أمر اختلاف ابنتـــه (هند) مع زوجها (الفاكه بن المغيرة) في فرية رماها (الفاكه) زوجته بها[1]. وامتحان (عبد المطلب) للكاهن (ربيعة بن حذار الأسدي) حين اختصم مع (بني كلاب وبني رباب)[2] . وامتحان (الكاهن الخزاعي)[3] وغير ذلك .

١ نهاية الارب (٣/١٣١) ، صبح الاعشى (١/٣٩٨ وما بعدها) .
٢ نهاية الارب (٣/١٣٣) .
٣ نهاية الارب (٣/١٣٢) .

وما يعطاه الكاهن ويجعل له على كهانته ، يقال له (الحُلوان) و (حلوان الكاهن) ، وهو شيء غير معين ولا ثابت ، انما يتفق عليه ، والرأي الشائع بين العامة حتى الآن أن الكهانة لا تصدق إذا لم يعط الكاهن أو الساحر (حلوانه) ؛ لأن ما يقدم الى الكاهن لا يخصه ولا يكون له ، إنما هو للرئي ، والرئي لا يقوم بعمله ولا يحسن أداءه إلا بحلوان ، يقبله مهما كان ، وعلى الكاهن استشارة (التابع) ومراجعته فيه حتى يقنع ، ويوافق على الأجر . ولما كان الاسلام قد منع الكهانة، كان من الطبيعي نهيه عن دفع الحلوان [1] .

والكهّان إنما صاروا كهاناً ، أي متنبئين بالغيب ، لأن « الكهنة قوم لهم أذهان حادة ، ونفوس شريرة ، وطباع نارية ، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في الأمور ، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم اليه »[2] . وهذا هو تعليل إسلامي بالطبع لمصدر تنبؤ الكهان ، أما رأي الجاهليين عنه ، فلا علم لدينا عنه ، لعدم ورود شيء منهم الينا .

وتقدم الكهانة على القدرة الشخصية وعلى ذكاء الكاهن،لذلك لم تكن كالسدانة مثلاً إرثاً ينتقل من الآباء الى الأبناء ، بل كان في إمكان كل شخص يرى في نفسه القدرة على التنبؤ بالغيب والتحدث عما سيحدث للسائلين ان يدعي الكهانة وان يعد نفسه كاهناً يتكلم باسم الأرباب ، وينطق بالقوة الخفية التي توحي اليه بالتنبؤات ، فيتخذ له مكاناً في معبد أو في موضع آخر أو في بيته ليقصده من يريد استشارته في عظائم الأمور مهما اختلفت وتنوعت عن المستقبل وعن الأخبار وعن الأسرار والمغيّبات وعن القيام بعمل من الأعمال .

وفي الأقوال المنسوبة الى الكهان ، قسم بالكواكب كالشمس والقمر وبالنجوم وبالليل وبالنهار وبالأشجار وبالرياح والكلمات وبالجبال والأنهار وبالطيور وبما شابه ذلك أمور طبيعية ، الغرض منها التأثير في نفوس السامعين والأغراب في الكلام ، ليكون بعيداً عن الأسلوب المألوف . وقد روى الأخباريون نماذج من هذا الكلام،

---

١ « أعطيت الكاهن حلوانه ، أي كراء كهانته » ، الاشتقاق (٢/٣١٤) ، « نهى النبي صلى الله عليه وسلم ، عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن » ، ارشاد الساري (٨/٤٠٠) ، اللسان (١٨/٢١١) ، تاج العروس (١٠/٩٦) ، اللسان (١٤/١٩٤) ، (صادر) « حلو » ، النهاية (٣/٢٥٦ وما بعدها) ، مفتاح السعادة (١/٢٩٣ وما بعدها) .

٢ عمدة القارىء (٢١/٢٧٥) ، ارشاد الساري (٨/٣٩٨ وما بعدها) .

من هذا السجع المعروف بـ (سجع الكهان) ، نسبوه الى أصحابه من كهـــان الجاهلية . وهي نسبة مهما حاولوا اثبات صحتها وصدق روايتها ، فانهم عاجزون في رأيي عن اقناعنا بصحة ما يقولون. كيف حفظوا ذلك الكلام وتناقلوه بالحرف الواحد بوزنه وبأسلوبه وبنصه وبفصه الى أن أوصلوه الى أيـــدي العلماء والمدوّنين فثبتوه بالتدوين ؟ وكيف لم يخطئوا في ذلك ولم ينسوا منه حرفـــاً ، حتى لكأنه كلام مقدس وارد عن وحي سماوي ، فلا بد من المحافظة على نصه وروايته على نحو ما ورد وحفظ ؟ واذا كان العلماء قد تساهلوا في رواية متن حديث رسول الله فسمحوا بالتصرف فيه بشرط المحافظة على المعنى محافظة تامة ، لصعوبة التمسك برواية النص على نحو ما ورد عن الرسول . فكيف يعقل محافظة الرواة على حرفية كلام الكهان على نحو ما نسب اليهم . وكلام الكهان ليس بشيء بالقياس الى كلام الرسول ؛ ثم انه أقدم منه ، ولم يكن مدوناً ولا مكتوباً في كتاب على ما يفهم من روايات الأخباريين .

وقد كان للكهان على ما يتبين من قصص الأخباريين أثر كبير في حياة العرب قبل الإسلام . فقـــد كان الناس يستشيرونهم في إبرام مهمات الأمور ، كإعلان حرب أو كشف عن جريمة أو بحث عن شيء مفقود وما شاكل ذلك . لقـــد كانوا يستشيرونهم في الحروب ، يتنبؤون للنـــاس بقرب حدوث غزو أو نزول كارثة أو خير سيقع قريباً . لقـــد كان هجوم بني أسد على (حجر) بمشورة الكاهن وبرأيـــه ، وكان تركهم تميماً وافتراقهم عنهم في يوم جبلة بتحذير من الكاهن كذلك[1] . وقد استعان النعمان أو يزيد بن عمرو الغساني بالكاهن (الخمس التغلبي) ، لاخباره عمن تجاسر على ناقته فقتلها ، كما استعان (عتبة بن ربيعة) في اثبات نسب ابنته (هند) منه[2] .

وقد اشترك الكهان أنفسهم في الغزوات وفي الحروب . كانوا يشجعون قومهم ويحثونهم عـــلى القتال ، وكان بعضهم من مشاهير الفرسان ، مثل (زهير بن جناب) ، و (جذيمة) العبسي ، وقلطف الكاهن ، والمأمور كاهن مذحج .

---

١ الاغاني (١٠/٣٦) ، مروج الذهب (٢/١٧٣ وما بعدها) ، نهاية الارب ، للنويري (٣/١٢٤) ، صبح الاعشى (١/٣٩٨) ، Reste, S. 136.

٢ الاغاني (١٠/٢٧) ، « ذكر مقتل خالد بن كلاب » ، صبح الاعشى (١/٣٣٨ وما بعدها) ، Reste, S. 136.

ولم يكن الكهان من الطبقات الدنيا عند عرب الجاهلية ، ولا من سواد الناس. لقد كان منهم من هو من سادة القبيلة ومن الأشراف . ولا بد أن يكونوا من هذه الطبقة ، ليكون حكمهم نافذاً بين الناس بما لهم من عز ومنزلة وجاه . وقد عدّ الأخباريون (زهير بن جناب) رئيس كلب في جملة الكهان[1] . وقد كان للقبائل (كهان) تلتجىء اليهم في الملمات ، لتستشيرهم وتعمل برأيهم في الغزو والحرب . يسيرون معها ، وقد يقودونها في المعارك .

وقد كان لكل قبيلة كاهن منها أو عدة كهان، تلتجىء القبيلة اليهم لاستشارتهم في كل أمر عظيم يحدث لهم . ولا يشترط ان يكون كاهن القبيلة رجلاً ، إذ يجوز ان يكون امرأة . وكان كاهن ثقيف (قريش) عند ظهور الاسلام رجلٌ يقال له (خطر) ، وكان لجنب كاهنهم كذلك ، وكان لقريش حين ظهور الاسلام كاهنة تدعى (سوداء بنت زهرة بن كلاب) ، وهكذا كان شأن بقية القبائل . فلما ظهر الاسلام ، ودّع اولئك الكهان رئيسهم وتابعهم ، وكهانتهم ، إذ نهى الاسلام عنها . وقد كان لبعضهم أثر مهم في إعداد قبائلهم للدخول في الاسلام[2] .

وقد أشار بعض الكتبة الكلاسيكيين الى وجود كهان عند العرب، كما انه ورد في كتابات طور سيناء ما يدل على وجودهم عند القبائل[3] .

ولم يكن الكاهن ، كاهناً ، بمعنى المخبر عن المغيبات فقط، بل كان حاكماً يحكم بين الناس فيما يقع بينهم من خلاف . فالكاهن حاكم يفصل في الخصومات . وقد كان أكثر حكام العرب كهاناً ، يقصدهم المتخاصمون من مواضع بعيدة لما عرفوا به من إصالة الرأي ، وصحة الحكم .

وقد ذكر أن الكاهن كان لا يلبس المصبغ . أما العراف فإنه لا يدع تذييل قميصه وسحب ردائه[4] ، ويدل ذلك على أنهما كانا يميزان أنفسهما بمميزات وعلامات وأنهما كانا يتجنبان بعض الأمور .

---

١ الاغاني (٨/٦٦) ، (١٥/٧٣) ، (٢١/٩٩) .
٢ الروض الانف (١/١٣٧ وما بعدها) ، مفتاح السعادة ، (١/١١٣ وما بعدها) ، نهايه الارب (٣/١٢٤) ، صبح الاعسى (١/٣٩٨) .
٣ Ency. Religi., I, p. 667.
٤ تفسير الطبري (١٨/٥٧) ، ثمار القلوب (١٩٣) ، بلوغ الارب (٣/٤٠٧) .

وقد اشتهر في الجاهلية عدة كهّان ذكر الأخباريون أسماءهم ، منهم : شقّ ، وسَطيح ، وأوس بن ربيعة ، والخمس التغلبي ، وعُزى سلمة الكاهن ، ونفيل ابن عبد العزي ، وخنافر بن التوأم الحميري ، وسواد بن قارب الدوسي ،وعمرو ابن الجعيد ، وابن الصياد ، والأبلق الأزدي ، والأجلح الدهري ، وعروة بن زيد الأزدي ، ورباح (رياح) بن عجلة ، وهو المعروف بعراف اليمامة ، والكاهن الخزاعي ، وهو جدّ (عمرو بن الحمق) ، وكان منزله بعسفان ، واليه احتكم هاشم وأمية [1] ، و (كهال) ، أحد الكهنة الجاهليين[2] .

وأشهر الكهان وأعرفهم : شق وسطيح ، وللأخباريين عنهما قصص أخرجها من عالم الواقع ، وجعلها في جملة الأشخاص الخرافيين . فشق في زعمهم إنسان له يدٌ واحدة وعين واحدة ، وجعلوه من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمي . وذكروا أنه كان معاصراً لمالك بن نصر اللخمي ، وأنه استدعاه واستدعى سطيحاً معه لتفسير رؤيا رآها أفزعته ، وأنهما أخبراه بوقوع غزو الحبشة لليمن وبظهور سيف بن ذي يزن . وقالوا : إنه من بني جليحة ، وأنه عمّر ثلاثمائة سنة [3] . وقالوا ان سطيحاً كان كتلة من لحم يدرج كما يدرج الثوب ، ولا عظم فيه إلا الجمجمة ، وأن وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، وكان في عصره من أشهر الكهّان ، وان كسرى بعث اليه عبد المسيح بن بقيلة الغساني ليسأله في تأويل رؤيا رآها ، فأخبره بظهور أمر رسول الله وبقرب زوال ملك العجم ، فأخبر (عبد المسيح) كسرى بذلك[4] .

وزعم ان سطيحاً جسد ملقى لا جوارح له ، ولا يقدر على الجلوس ، إلا اذا غضب انتفخ فجلس . وكان شق شق انسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة ،وعين واحدة . وولد سطيح وشق في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة،

---

١ تاج العروس (٩/٣٢٦) ، بلوغ الارب (٢/٢٦٩ وما بعدها) ، مروج الذهب (٢/١٧٥ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (٢/١٠) ، البيان والتبيين (١/٢٨٩) ، نهاية الارب (٣/١٣٢) ، الثعالبي ، ثمار (١٠٥ وما بعدها) ، Reste, S. 136. f.

٢ تاج العروس (٨/١٠٦) ، (كهل) .

٣ الاشتقاق (٣٠٣) ، المستطرف (٢/٨٠ وما بعدها) ، (ربيعة بن نصر اللخمي) ، الازمنة والامكنة (٢/١٩٣) ، الاشتقاق (٢٨٦) .

٤ القزويني : عجائب المخلوقات (١/٣٧١) « طبعة وستنفلد » ، الطبري (٢/٩٩) ، نهاية الارب (٣/١٢٨ وما بعدها) ، (في أخبار الكهان) ، Ency., Vol., IV, p. 370.

ة (عمرو بن عامر) ، وهي بنت الخير الحميرية ، ودعت بسطيح قبل ان ت ، فأتيت به ، فتفلت في فيه ، وأخبرت انه سيخلفها في علمها وكهانتها . ن وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، ودعت بشق ففعلت به فعلت لسطيح ، ثم ماتت وقبرها بالجحفة[1] .

وقد ذكر (المسعودي) ، نسب الكاهن (شق) على هذا النحو : (شق مصعب بن شكران بن أترك بن قيس بن عنقر بن أنمار بن ربيعة بن نزار) . كر نسب (سطيح) على هذه الصورة : (هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن ن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان)[2] . ودعاه بـ (سطيح الغساني) في سع آخر . وأورد سجعاً من سجعه ، كما أورد أخبـاراً لشق المعاصر له[3] . دعاه (الجاحظ) بـ (سطيح الذئبي) ، كما دعاه (ابن اسحاق) بذلك، ينسب الى جد اسمه (ذئب)[4] .

واذا كانت رواية أهل الأخبار عن وجود الكاهن (سطيح) صحيحة، فيجب يكون قد عاش في القرن السادس للميلاد ، اذ هم يذكرون أنه كان معاصراً سرى أنو شروان ، وللنعمان بن المنذر ، ويروون أنه أخبر (عبد المسيح بن ان) ، الذي جاء اليه ليستفسر منه عن رؤيا رآها كسرى في منامه فأزعجته، بره بمولد الرسول . وذكروا أيضاً ان كسرى كان يستعين في حكمه بالكهان، تشيرهم ، وانه كان لديه ثلثمائة وستون كاهناً وسحرة ومنجمين ، وكان من م كهنة من العرب ، وأشهرهم : السائب[5] .

وذكر بعض أهل الأخبار « أن خالد بن عبدالله القسري كان من ولد شق ا . فهو خالد بن عبدالله بن أسد بن كرز . وذكر أن كرزاً كان دعيـاً ، ه كان من اليهود فجنى جناية ، فهرب الى بجيلة ، فانتسب فيهم . ويقـال ن عبداً لعبد القيس ، وهو ابن عامر ذي الرقعة . وسمي بذي الرقعة ، لأنـه

الروض الانف (١/١٨ وما بعدها) .
مروج الذهب (٢/١٦٠) ، « دار الاندلس » ، سيرة ابن اسحاق (٤٧) ، (طبعـه أوربة) ، عجائب المخلوقات (٣١٠) ، الحيوان (٣/٢١٠) ، (٦/٢٠٤ ، ٢٠٦ وما بعدها) .
مروج الذهب (٢/١٧٥ وما بعدها) ، الحيوان (٣/٢٠٤) ، (٦/٢٠٤) .
الحيوان (٣/٢١٠) ، البيان والتبيين (١/٢٨١) ، ابن اسحاق (٤٧) ، (كوتنكن) .
تأريخ الخميس (١/٣٢٢) ، نهاية الارب (٣/١٢٨ وما بعدها) .

كان أعور يغطي عينه برقعة ابن عبد شمس بن جون بن شق الكاهن بن صعب»[1]. ويظهر أن أعداء (القسري)، قد أوجدوا له هذه القصة للحط منه، كما أوجدوا قصصاً شبيهاً بهذه القصة، حكوها عن ثقيف، نكاية بالحجاج المكروه.

والى هؤلاء تجب اضافة (الأفعى الجرهمي)، وكان منزله بنجران، واليه احتكم ولد نزار في إرث والدهم[2].

ورووا ان الكاهن (الخزاعي) كان من الكهان المعروفين واليه تحاكم (أمية بن عبد شمس) و (هاشم بن عبد مناف) في أمر مفاخرتهما، فحكم لهاشم على أمية، فخرج الى الشأم وأقام بها عشر سنين. وانه قال في حكمه كلاماً مسجعاً ختمه بقوله: «ولأمية أواخر»، فكانت أول عداوة بين بني هاشم وبني أمية[3]. وهكذا جعلوه يتنبأ بظهور ملك بني أمية. وربما كان هذا الملك هو الذي أوحى الى مفتعل القصة بابداع موضوع اختيار (أمية) الشأم لتكون داراً له أقام بها مدة نزاعه مع هاشم، فحكم ان الملك عليها كان مكتوباً لبني أمية منذ عهد الجاهلية.

وتشبه هذه القصة، قصة شك (الفاكه بن المغيرة) في سيرة زوجه (هند بنت عتبة بن ربيعة)، وتكلم الناس فيها، وذهاب والدها وزوجها بها الى كاهن من كهان اليمن، فلما امتحنه عتبة، وتبين له ان الكاهن حاذق لا يخطىء قال له: قد جئناك «في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يأتي الى كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها، ويقول لها: انهضي حتى بلغ هنداً. فقال: انهضي غير رسحاء ولا زانية وستلدين ملكاً اسمه معاوية، فنهض اليها الفاكه، فأخذ بيدها، فجذبت يدها من يده، وقالت اليك عني، فوالله لأحرص ان يكون ذلك من غيرك! فتزوجها أبو سفيان، فولدت له أمير المؤمنين معاوية»[4]. وهي قصة تتحدث عن نفسها، ولا حاجة لي الى ابداء أي تعليق عليها.

وكان (صاف بن صيّاد) يتكهن ويدعي النبوة. وخبأ له النبي خبيئاً فعلمه.

---

١ الروض الانف (١/١٩).
٢ مجمع الامثال (١/١٧ وما بعدها).
٣ المستطرف (٢/٨١)، نهاية الارب (٣/١٢٣ وما بعدها).
٤ المستطرف (٢/٨٢)، نهاية الارب (٣/١٣١ وما بعدها)، (الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثاني. في أخبار الكهنة).

وكان يدعي أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض[1] . ويذكر ان الرسول سأله : كيف يأتيك هذا الأمر ؟ قال : يأتيني صادقاً وكاذباً[2] . وأن رسول الله ذهب اليه ليرى أمره وكان (ابن صياد) في نخل ، فكلمه رسول الله . وذكر أنه انطلق مرة مع (عمر بن الخطاب) في رهط قبل ابن صياد ، فوجده عند (أطم بني مغالة)[3] .

وكان في بني لهب كاهن لهم يقال له خطر بن مالك. وكان في أيام الرسول. وكان اذ ذاك شيخاً كبيراً[4] . وكان (أبو برزة) الأسلمي من الكهان المعروفين في المدينة أيام الرسول ، وقد تحاكم اليه بنو قريظة وبنو النضير في أمر الديات التي كانت بينهما[5] .

وذكر أن (خطر بن مالك) كان من أعلم كهان (بني لهب) ، وأنهم كانوا يأتونة في الملمات،أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وقد تنبأ لقومه بانقطاع الكهانة وظهور الرسول بمكة حين سألوه عن سبب تساقط النجوم في السماء[6] .

وكان في دوس كاهن اسمه سواد بن قارب الدوسي أو السدوسي . وقد وفد مع وفد من قومه على الرسول وأسلم معه أمامه . وكان له رئي يأتي اليه[7]. وذكر أهل الأخبار انه كان حاذقاً في الكهانة ، مصيباً بها ، « خرج خمسة نفر من طيء من دور الحمى ، منهم : برج بن مسهر ، أحد المعمرين،وأنيف بن حارثة، ولأم عبدالله بن سعد والد حاتم ، وعارف الشاعر ، ومرة بن عبد رضا،يريدون سواد بن قارب ، ليمتحنوا علمه . فقالوا : ليخبىء كل منا خبيأ ولا يخبر أصحابه ، فان أصاب عرفنا علمه،وان أخطأ ارتحلنا عنه . ثم وصلوا اليه فأهدوا اليه إبلاً وطرفاً ، فضرب عليهم قبة ونحر لهم،فلما مضت ثلاثة أيام دعاهم، فتكلم برج ، وكان أسنهم فذكر القصة بجميع ما خبأوه ثم بمعرفته بأعيانهم وأنسابهم فقال فيه عارف الشاعر :

---

١ الروض الانف (١/١٣٧) .
٢ مقدمة ابن خلدون (١/٩٥ وما بعدها) .
٣ زاد المسلم (٢/١٠٤ وما بعدها) .
٤ الروض الانف (١/١٣٨ وما بعدها) .
٥ تفسير الطبري (٥/٩٧ وما بعدها) .
٦ السيرة الحلبية (١/١٣٩) .
٧ الروض الانف (١/١٣٩ وما بعدها) ، نزهة الجليس (١/٢٧٧) .

الله أعـــلم لا يجـــارى الى القالات في حصني سواد
كأن خبيئنا لمـــا انتخبنـــا بعينه يصرح أو ينـــادي[1]

ومن الكهان المعروفين (الحصين بن نضلة) وقـــد عرف بـ (الكاهن) ، وقيل : إنه سيد أهل تهامة في أيامه[2] . و (عمرو بن الحمق) ، وقـــد أسلم وصحب النبي ، وشهد المشاهد مع علي[3] .

وكان (ربيعة بن حُذار الأسدي) من الكهان المعروفين ، واليه تحاكم (بنو كلاب) و (بنو رباب) لما خاصموا (عبد المطلب) في مالٍ قريب من الطائف . فحكم لـ (عبد المطلب)[4] .

وذكر (المسعودي) اسم كاهنين ، دعاهما بـ (سملقة) و (زوبعـة)[5] . وقد أشار (الجاحظ) اليهما في معرض كلامه على الخرافات[6] .

وأشار (الجاحظ) الى كاهن ظهر في (بني جهينة) ، عرف بـ (حارثة جهينة)[7] ، والى (عزى سلمة) . وقد قال (الجاحظ) عن (عزى) ، أنه كان من أكهن العرب واسجعهم . ودعاه بـ (سلمة بن أبي حية)[8] .

وكان (خُنافر بن التوأم الحميري) كاهناً ، وكان قد أوتي بسطة في الجسم، وسعة في المال ، وكان عاتياً ، فلما وفدت وفود اليمن على النبي ، وظهر الاسلام أغار على إبل لمراد فاكتسحها وخرج بأهله وماله ولحق بالشحر ، فحالف (جودان ابن يحيى الفرضمي) ، وكان سيداً منيعاً ، ونزل بواد من أودية الشحر ، ثم جاءه (شصار) رئيه ، فنصحه بالعودة الى اليمن ، والدخول في الاسلام . فأسلم على يد معاذ بن جبل بصنعاء ، فترك الكهانة وتعلم سوراً من القرآن[9] .

---

١ الاصابة (٢/٩٥) ، (رقم ٣٥٨٢) .
٢ الاشتقاق (ص ٢٧٩) .
٣ الاشتقاق (٢٧٩) ، الاصابة (٢/٥٢٦) ، (رقم ٥٨٢٠) .
٤ نهاية الارب (٣/١٣٣) .
٥ مروج الذهب (٢/١٦٠ ، ١٧٦) .
٦ الحيوان (١/٣٠٩) .
٧ الحيوان (٦/٢٠٤) ، مروج الذهب (١/٣٣٧) ، ثمار القلوب (٨١) .
٨ الحيوان (٦/٢٠٤) ، البيان والتبيين (١/١٩٥) ، رسائل الجاحظ (١٣٠) .
٩ الامالي ، للقالي (١/١٣٤ وما بعدها) ، الاصابة (١/٤٥٦) ، (رقم ٢٣٤٢) ، تاج العروس (٣/١٩٢) ، (خنافر) .

ومن الكهان (المأمور) ، وهو (الحارث بن معاوية) الكاهن . وكانت مذحج في أمره تتقدم وتتأخر[1] . و (قلطف) الكاهن ، وهو من طيء[2] .

وكان (زهير بن جناب الكلبي) ، و (جذيمة) العبسي ، كهاناً[3] . وزهير من الفرسان ، فكان من فرسان كلب ، وكان شاعراً[4] .

ويعدّ (الأفكل) من الكهان الفرسان ، وله فرس اسمه هبود[5] .

ولم تحرم النساء الكهانة ، فكان لهن فيها حصة ونصيب . وقد حفظ الأخباريون أسماء عدد من الكاهنات اشتهرت كهانتهن في الجاهلية ، منهن طريفة الكاهنة ، وزبراء ، وسلمى الهمدانية ، وعفيراء الحميرية ، وفاطمة بنت مرّ الخثعمية ، وسجاح ، وغيرهن . وقد نسبوا الى طريفة إخبارها عمرو بن عامر أحد ملوك اليمن بزوال ملكه وبخراب سد مأرب ، وذكروا انها سارت مع القبائل حين خافت سيل العرم[6] . ونسبوا الى بقية الكاهنات أمثال هذا القصص عن أمور ستقع قالوا انها وقعت كما تنبأن به .

وذكر (المسعودي) ، ان (طريفة) كانت كاهنة لعمرو بن عامر . وقد نعتها بـ (طريفة الخير) . وقد تنبأت له بقرب تهدم السد،وظهور سيل العرم . كما تنبأ بذلك أخ للملك اسمه (عمران) ، وكان عقيماً كاهناً ، فوقع ما تنبآ به[7] .

وكان من شهيرات الكاهنات أيضاً (الغيطلة) ، وهي (أم الغياطل) ، وهي من (بني مُرة بن عبد مناة بن كنانة)[8] . وقيل : « الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرة . وشنوق أخو مدلج » . وقد عرف ولدها بالغياطل ، وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص[9] .

---

١ الاشتقاق (٢/٢٣٩) .
٢ الاشتقاق (٢/٢٣٧) .
٣ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزءالاول) ، (ص ٧) .
٤ معجم الشعراء (١٣٠) ، الشعر والشعراء (٢٢٣) .
٥ المشرق ، السنة ١٩٣٨ م ، (الجزء الاول) ، (ص ٩) .
٦ بلوغ الارب (٢/٢٨٣ وما بعدها) ، الاغاني (١٣/١٠٥) « ذكر خبر مضاض بن عمرو » ، الطبري (٢/٢٤٤) ، مروج الذهب (٢/١٧٥) . Reste, S. 137.
٧ مروج الذهب (٢/١٦٧ وما بعدها) .
٨ الروض الانف (١/١٣٨ وما بعدها) .
٩ الروض الانف (١/١٣٧ وما بعدها) .

ويقال أيضاً أن (سُعدى بنت كريز بن ربيعة) كانت قد تكهنت ، وهي خالة عثمان بن عفان [1] .

وكان لفاطمة بنت النعمان النجارية تابع من الجن ، وكان اذا جاءهـا اقتحم عليها في بيتها ، وقد أدركت مبعث الرسول [2] .

وكانت سوداء بنت زهرة بن كلاب ، كاهنة قريش . ويذكر أن والدهـا أعطاها لحافر قبور ليحفر لها قبراً في الحجون ، فيدفنها حيّة فيه . أي يئدها ، لأنها ولدت زرقاء شمياء ، وكانوا يئدون من البنات من كان على هذه الصفة ، غير أن حافر القبر عاد بها الى والدها ، لأنه لم يشأ دفنهـا في خبر يرويه أهـل الأخبار [3] .

وكان في (خثعم) كاهنة عرفت بفاطمة [4] .

ولاستشارة الناس هؤلاء الكهان في الأمور وطلبهم منهم الفصل فيهـا صارت كلمة (حكم) مرادفة لكلمة (كاهن) في بعض الأحايين . وقد روى الأخباريون أمثلة عديدة من حكم هؤلاء الكهان بين الناس وطريقة فصلهم في الأمـور ، فهم في هذه الحالة حكام يفصلون في القضايا التي يتفق الجانبان المتخاصمان فيها عـلى احالتها عليهم . ولم تكن لنفوذ أحكامهم مناطق وحدود . لقد كان حدود أحكامهم المدى الذي وصلت شهرة الكاهن اليه ، لذلك كان الناس يقصدون الكاهن مـن مناطق بعيدة في بعض الأحيان لشهرته الواسعة التي يتمتع بها بين الناس . وتتوقف هذه الشهرة بالطبع على مبلغ ذكاء ذلك الكاهن وقدرته في فهم طبيعة المتخاصمين أو السائلين ، ليتمكن من إصدار حكم معقول مقبول . وتكون أحكامهم قطعية ، على الطرفين اطاعتها والامتثال لها ، وليس لأحد أن يعترض عليها . ولذلك يأخذ الكاهن من الطرفين المتخاصمين قبل سماعه الشكوى عهداً بوجوب الامتثال لحكمه وعدم ردّه مهما كان نوع الحكم .

---

١ نهاية الارب (٣/١٢٦) ، (٣/١٣٠) ، (طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة) .

٢ الروض الانف (١/١٣٧) .

٣ الروض الانف (١/١٤١) .

٤ أنساب الاشراف (١/٧٩) .

العرّاف :

ويطلق بعض علماء اللغة على الكاهن (العرّاف) ، فهو عندهم مرادف للكاهن . غير ان من العلماء من يفرق بين الكلمتين ، ويرى بينهما فرقاً ، فالكاهن الـذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ، ويدعي معرفة الأسرار ، والعراف هو الذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكـان الضالّة ونحوهما ، أو الذي يزعم انه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله[1] . ومنهم من يذهب الى ان العراف من اختص بالإنباء عن الأحوال المستقبلة . أما الكاهن فهو الذي اختص بالإخبار عن الأحوال الماضية[2]. وقد فرّق بين الكاهن والعراف في حديث : « من أتى عرافاً أو كاهناً ... »[3] . وأطلق بعضهم العراف على من يدعي الغيب مطلقاً وفي ضمنهم المنجم والحازي[4] .

وذكر ان (العراف) الكاهن أو الطبيب أو المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب[5] . فللكلمة معان عديدة ، ولا تختص بمعنى واحد . وقد ذهب (المسعودي) الى ان العراف دون الكاهن[6] . ونجد هذه النظرة عند غيره أيضاً .

وخلاصة ما يفهم عن الكهانة والعرافة في روايات الأخباريين أن الكهانـة هي التنبؤ بواسطة تابع . وأن العرافة تكون بالملاحظات وبالاستنتاجات وبمراقبة الأشياء لاستنتاج أمور منها ، يخبر بها السائلون على سبيل التنبؤ . وهي على ما يظهر من تلك الروايات ، دون الكهانة في المنزلة ، ولم يكن للعرافين اتصال ببيوت العبادة والأصنام[7] ، ولم يكن لهم (رئي) أي (تابع) ، وإنما كانوا يستنبطون مـا يقولونه بذكائهم وعـلى القياس . فيأخذون بالمشابهة وبالارتباط بين الحوادث ، ويحكمون بما سيحدث بموجب ذلك[8] .

وقد عدّ العبرانيون العرافة من الحيل الشيطانية كالسحر والتفاؤل ، لأنهـا من

---

١ النهاية (٤/٤٣) .
٢ تاج العروس (٦/١٩٣) .
٣ النهاية (٣/٩٨) .
٤ تاج العروس (٦/١٩٣) .
٥ تاج العروس (٦/١٩٣) .
٦ مروج (٢/١٥٤) .
٧ (وأما العراف ، وهو دون الكاهن) ، الحيوان (٦/٢٠٤) .
٨ مفتاح السعادة (١١٣١ وما بعدها) .

رجس المشركين . وتشمل عندهم التنجيم والقرعة والزجر وما شاكل ذلك[1] . وقد نهي عنها في الإسلام .

وقد اعتمد العرّاف على الخط . فكان يخط خطوطاً ، ثم ينظر اليها. ليستنبط شيئاً منها ، يتنبأ به للناس . ومن مشاهيرهم (حليس الخطاط الأسدي) . وقد ذكر أنهم كانوا يخطون خطوطاً ، ثم ينظر العراف ويقول : « ابنا عيان،اسرعا البيان ، ثم يخبر بما يرى »[2] .

وتعتمد العرافة – كما تعتمد الكهانة – على الذكاء والتفرس في الأمور والتجارب. وقد خصصها أكثر الناس في الإسلام بالتوصل الى معرفة الأشياء المفقودة.والعراف مما عنده من الملكات والمواهب المذكورة ، يقضي ويتنبأ للناس فيما يراه ، ومن أشهر العرافين في الجاهلية : عرّاف اليمامة ، وهو (رباح بن كحلة) (رباح ابن عجلة) (رياح بن كحلة) المذكور في الشعر ، وعرّاف نجد وهو الأبلق الأسدي[3] . والأجلح الزهري ، وعروة بن زيد الأسدي[4] .

وفي عرّاف اليمامة ورد قول الشاعر :

فقلتُ لعرّاف اليمامة داوني فإنك ان داويتني لطبيب

والأبلق الأسدي ، هو عراف نجد ، وفيه يقول عروة بن حزام :

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه وعرّاف نجد إن هما شفياني[5]

وقد كان أهل الجاهلية يعرضون صبيانهم على (العرافين) لإخبارهم عن

---

١ قاموس الكتاب المقدس (٢/٩٣) .

٢ فأنتم عضاريط الخميس اذا غزوا غناؤكم تلك الاخاطبط في الترب
الحيوان (١/٦٣) .

٣ بلوغ الارب (٣/٣٠٦ وما بعدها) ، قال عمرو بن حزام العذري :
وقلت لعراف اليمامة داوني فانك ان أبرأتني لطبيب
فما بي من سقم ولا طيف جنة ولكن عمى الحميري كذوب
تاج العروس (٦/١٩٣) ، (فقلت) ، الحيوان (٦/٢٠٥) ، مروج الذهب (٢/١٥٤)، ثمار القلوب (٨١) .

٤ الحيوان (٦/٢٠٤) ، (الازدي) ، مروج (٢/١٥٤) ، (دار الاندلس) .

٥ مروج الذهب (٢/١٥٤) ، (العرافة وبعض العرافين) ، رسائل الجاحظ (١٣٠) ، مقدمة ابن خلدون (٩٤ وما بعدها) ، الحيوان (٦/٢٠٤) . (١/٦٣) .

مستقبلهم . وكانت الأسواق مثل سوق عكاظ موئلاً لهـم . فكان العراف فيها يرى به الناس صبيانهم ، ويقول عنهم ما يجول بخاطره ، وذلك بالتفرس في وجه الصبي ، ومقارنة ذلك بما حصل عليه من تجارب في هذا الباب[1] .

وفي اللغة العربية كلمة قديمة أخرى لها صلة بموضوعنا هذا ، هي (القيافة) . ويقصد بها التنبؤ والإخبار عن شيء بتتبع الأثر والشبه[2] . وتدخل في ذلك قيافة آثار الأقدام والأخفاف والحوافر للاستدلال منها على أصحابها ، وتعيين النسب في حالة الشك فيه . وما زالت القيافة معروفة عند العرب حتى الآن . وقد اشتهرت بها (بنو مُدلج) خاصة ، حتى قيل للقائف (مدلجي) بسبب هذا الاختصاص[3]، وبنو لهب[4] ، وأحياء مضر[5] .

ويرى (المسعودي) ان القيافة من الأمور التي برع بها العرب واختصوا بها، وصار لهم مران وخبرة بها ، وذكر ان ممن عرف واشتهر بها (محرز المدلجي)، وقد تعجب الرسول من قيافته وصدقه[6] .

وذكر أهل الأخبار ان (الحازر) ، هو من يحزر الأشياء ، وان (الحزارة) في معنى القيافة .

وأما (الفراسة) ، فتكون بالاستدلال بهيأة الانسان وأشكاله وأقواله على صفاته وطبائعه . وقد ذهب بعض المستشرقين الى أنهـا من الكلمات المعربة التي أخذت من (بني إرم) ، وانها أحدث عهداً من لفظة (القيافة) التي هي من الكلمات العربية الجاهلية[7] . وقد توسع في معناها وألف فيها الكتب في الإسلام وتبحر فيها بعض أئمة الفقهاء مثل الشافعي[8] .

وأما (العيافة) فهي التنبؤ بملاحظة حركات الطيور والحيوانات ودراسة أصواتها،

---

١ السيرة الحلبية (١/١١٤) .
٢ اللسان (١١/٢٠١ وما بعدها) ، مروج الذهب (٢/١٤٤) .
٣ المسطرف (٢/٨٢) ، Ency., II, p. 1048, Muh. Stud., I, S. 184.
٤ بلوغ الارب (٣/٢٦٢) .
٥ مروج (٢/١٤٩) .
٦ مروج الذهب (٢/١٥٠) .
٧ Ency., II, p. 108.
٨ النهاية (٣/٢٠٧ وما بعدها) ، بلوغ الارب (٣/٢٦٣ وما بعدها) ، نهايه الارب (٣/١٤٩) .

وقراءة بعض أحشائها ، ولذلك قيل في العبرانية للعائف (الشاق) ، لشقه الحيوانات والطيور لدراسة أحشائها واستخراج الخبر مما يراه عـلى تلك الأحشاء من ألياف يرى أن في أوضاعها معاني يذكرها للسائل على شكل نبوءة [1] . وكانت معروفة خاصة عند الكلدانيين .

وقد اشتهرت (بنو أسد) بالعيافة ، فقصدها الناس للأخذ منها ، حتى الجن سمعت بعيافتها ، وعجبت منها ، فجاءت اليها تمتحنها في هذا العلم [2] .

واشتهرت (بنو لِهْبٍ) بالعيافة كذلك ، ولهبٌ حي من الأزد . ومن هؤلاء (العائف اللهبي) ، (لهب بن أحجن بن كعب) ، وهو الذي تكهن بموت عمر بن الخطاب قبل وقوعه بعام [3] .

والزجر العيافة . وهو يزجر الطير يعافها . وأصله ان يرمي الطير بحصاة ويصيح ، فان ولاه في طيرانه ميامنه تفاءل به أو مياسره تطير . وهو ضرب من التكهن . وانما سمي الكاهن زاجراً ، لأنه اذا رأى ما يظن انه يتشاءم به زجر بالنهي عن المضي في تلك الحاجة برفع صوت وشدة [4] .

وتطلق لفظـة (الحازي) على من يحزر الأشياء ويقدّرها بظنه ، فهي من الكلمات المستعملة في الكهانة ، ويطلق على من يشتغل بالنجوم اسم (حزّاء) ، لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره [5] . وأطلقت أيضاً على من يزجر الطير ، ولا سيما الغراب [6] .

---

١ تاج العروس (١/٢٠٧) ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٢٩) .

٢ « وبنو أسد يذكرون بالعبافة ويوصفون بها ، فيل عنهم ان قوما من الجن تذكروا عيافتهم ، فأتوهم ، فقالوا : ضلت لنا نافة ، فلو أرسلتم معنا من يعيف . فقالوا : لغليم منهم : انطلق معهم ، فاستردفه أحدهم ، ثم ساروا ، فلقيهم عقاب كاسرة احدى جناحيها ، فاقشعر الغلام وبكى ، فقالوا : مالك ؟ فقال : كسرت جناحا ورفعت جناحا ، وحلفت بالله صراحا ، ما أنت بانسي ولا تبغى لفاحـــا » ، تاج العروس (٦/٣٠٧) ، اللسان (١١/١٦٧ وما بعدها) .

٣ الروض الانف (١/١١٨ وما بعدها) . قال عبدالرحمن الخزاعي :

تيممت لهبا أبتغي العلم عندهم وقد رد عـــلم العائفـين الى لهب

تاج العروس (١/٤٧٥) ، (لهب) .

٤ تاج العروس (٣/٢٣٤) ، (زجر) .

٥ الروض الانف (١/١١٨ وما بعدها) .

٦ النهاية (١/٢٥٧) .

وقد أشير في كتب أهل الأخبار الى (حازي) عرف واشتهر بين الجاهليين بـ (حازي جهينة)[1] .

الراقي :

ويقال لمن يعمل الرقية ويرقي : (الراقي) . والرقية العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة كالحمّى والصرع . قال عروة :

فما تركا من عوذة يعرفانها ولا رقية إلا بها رقياني[2]

ويقال لأجرة الراقي : (البسلة) و (بسلة الراقي) . و (البسل) الحلال ، والبسل أيضاً الحرام، فهو من الأضداد . وبسل الدعاء بمعنى آمين ، أي الاستجابة. وكان الرجل اذا دعا على صاحبه ، يقول : قطع الله مطاك . فيقول الآخر : بسلا بسلاً ، أي آمين آمين[3] .

الاستقسام بالأزلام :

ومن طرق التنبؤ الاستقسام بالأزلام ويقابل ذلك ما يقال له (كسيم) (كسم « Gasam » في العبرانية . وهي طريقة معروفة عند البابليين كذلك[4] . وعند غيرهم من الشعوب . وقد أشير في التوراة الى أن (نبو ختنصر) (بختنصر) (نبخد نصر) « Nebuchadnezzar » أجال السهام حين عزم على فتح (أورشليم) (القدس) . « فإن ملك بابل قد وقف عند أم الطريق في رأس الطريقين ليباشر عرافة . فأجال السهام وسأل الترافيم ونظر في الكبد »[5] . وقد خرج السهم الذي كتب عليه (أورشليم) ، فعمل به وهاجم القدس وفتحها[6] .

---

١ البيان والتبيين (١/٢٨٩) .
٢ تاج العروس (١٠/١٥٤) ، (رقى) .
٣ تاج العروس (٧/٢٢٧) ، (بسل) ، الروض الانف (١/٧٥) .
٤ Hastings, p. 567.
٥ حزقيال ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الآية ٢١ .
٦ Hastings, p. 567.

وتعني لفظة (كوسيم) « Gosem » و « Gesem » « Kosem » العرافة في العبرانية[1]. من أصل (كسم) (كيسم) (قيسم) وهو التكهن. وهو أصل (سامي). واليه تعود كلمة (الاستقسام)، لا الى (قسم) بمعنى تقسيم الشيء وتجزئته. وهو المعنى الذي ذهب اليه أكثر علماء اللغة. وقريب من معنى (قيسم) (كيسم) ما ذكره علماء اللغة من أن القِسْمَ هو الحظ والنصيب. فإن للحظ والنصيب علاقة وثيقة بالتكهن، لما فيه من معرفة المستقبل والوقوف عليه.

وقد عرف أهل الأخبار (الأزلام): انها السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها. وعرفوا (الزلم)، انه السهم، وانه القدح المزلم[2]. وعرفوا القدح: انه السهم قبل ان ينصل ويراش. وان القدح: قدح السهم، وجمعه قِداح، وصانعه قدّاح[3]. وقد فسر بعض العلماء الأزلام بأحجار بيض تشبه أحجار الشطرنج، كما جعل بعض آخر تلك السهام في مقابل (الكعاب) التي يستعملها الروم والفرس في الاستخارة[4]. وذكر بعض آخر ان « الأزلام: سهام كانت لأهل الجاهلية مكتوب على بعضها: أمرني ربي، وعلى بعضها: نهاني ربي، فإذا أراد الرجل سفراً أو أمراً، ضرب تلك القداح، فإن خرج السهم الذي عليه أمرني ربي مضى لحاجته، وإن خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض في أمره »[5]. وذكر ان الأزلام التي كانوا يستقسمون بها غير قداح الميسر، وانها قدّاح الأمر والنهي لا قداح الميسر[6]. وذكر ان أهل الجاهلية، كانوا اذا أرادوا ان يخرجوا في سفر، جعلوا قداحاً للجلوس والخروج، فإن وقع الخروج خرجوا، وإن وقع الجلوس جلسوا[7].

وطريقة الضرب بالقداح، ان الرجل منهم اذا أراد ان يخرج مسافراً، كتب في قدح هذا يأمرني بالمكث، وهذا يأمرني بالخروج، وجعل معها أزلاماً مسحة،

---

١ العدد، الاصحاح الثالث والعشرون، الآية ٢٣، صموئيل الاول، الاصحاح السادس، الآية ٢، اشعياء، الاصحاح الرابع والاربعون، الآية ٢٥.
٢ اللسان (١٢/٢٧٠).
٣ اللسان (٢/٥٥٦) (قدح)، تاج العروس (٢/٢٠٢)، (قدح).
٤ تفسير الطبري (٦/٤٢ وما بعدها)، روح المعاني (٦/٥٩ وما بعدها).
٥ اللسان (١٢/٤٧٨ وما بعدها)، (قسم)، (صادر).
٦ اللسان (١٢/٤٧٩)، (قسم)، تاج العروس (٦/٤١٧)، (قسم).
٧ تفسير الطبري (٦/٤٢ وما بعدها).

أي لم يكتب فيها شيئاً ، ثم استقسم بها حين يريد الخروج ، فإن خرج الذي يأمر بالمكث ، مكث ، وإن خرج الذي يأمر بالخروج خرج ، وإن خرج الآخر أي المسح ، أجالها ثانية حتى يخرج أحد القدحين[1] . وهكذا يفعلون في سائر أمور الاستقسام .

وقد جمع المفسرون ما تمكنوا من جمعه عما علق في أذهان الناس من الأزلام، لورود الإشارة اليهـا في موضعين من سورة (المائدة)[2] . وأورد علماء الحديث والأخبار ما وصل الى علمهم أيضاً عن (الاستقسام بالأزلام) . ويظهر مما ذكروه أن أهل الجاهلية كانوا يقيمون في أيامهم وزناً كبيراً للاستقسام بالأزلام لاعتقادهم أنه يحكي ارادة الأرباب ويتحدث عن مشيئتها . لذلك كانوا لا يفعلون فعلاً ولا يعملون عمـلاً إلا بعد أخذ رأيها بالاستقسام . فإن جاء أمر فعلوا ، وان جاء نهي امتنعوا .

وجاء في سورة المائدة : « وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق لكم »[3]، وذلك مع أمور نهى عنها الاسلام . منها تحريم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذُكي ، وما ذبح على النصب . وجاء ذكر الأزلام في موضع آخر مع ذكر الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، حيث جعلت رجساً من عمل الشيطان ، لذلك ، على المسلم اجتنابها والابتعاد عنها[4] . فالاستقسام بالأزلام من الأمور التي نزل الأمر بالنهي عنها في الاسلام . وقد جاء الأمر بالنهي عنها في شريعة يهود كذلك إذ اعتبرت (رجساً) ، ومن أعمال الوثنيين[5] .

ويكون الاستقسام عند الأصنام في الغالب لاعتقادهم ان النتيجـة تمثل ارادة الصنم ومشيئته ، غير ان ذلك ليس بشرط ، فقـد كان أصحاب الأزلام يحملون أزلامهم معهم ، ويستقسمون حيث يطلب ذلك منهم . فهم في ذلك مثل أصحاب

---

١ تفسير الطبري (٦/٤٢ وما بعدها) .
٢ سورة المائدة ، الآية ٣، ٩٠ ، تفسير الطبري (٦/٤٩) ، روح المعاني (٦/٥٩ وما بعدها) ، الطبري (٢/٢٤٠) .
٣ الآية ٤ ، تفسير البيضاوي (١/١١٨) ، تفسير الطبرسي (٣/٢٣٨ وما بعدها) ، (٣/١٥٦ وما بعدها) .
٤ المائدة ، الآية ٩٣ ، تفسير البيضاوي (١/١٣٢) .
٥ Hastings, p. 567.

(الفأل) والقارئون للرمل والسحرة في الوقت الحاضر ، يتنقلون بين الناس عارضين فنهم عليهم في مقابل حلوان يقدم اليهم . وهذا النوع ، من أصحاب الأزلام ، هم من الطبقة المرتزقة على شاكلة هذه الجماعة المذكورة في هذه الأيام . وقد كان منهم من يستقسم لنفسه بنفسه ، وذلك بأن يستقسم بالأزلام التي عنده في بيته ، والتي قد يحملها معه ، تماماً كما يفعل أهل (الاستخارة) في الاستخارة بالمسبحة (السبحة) أو بوسائل الاستخارة الأخرى في الوقت الحاضر .

قال أهل الأخبار : « والأزلام كانت لقريش في الجاهلية مكتوب عليها أمر ونهي وافعَلْ ولا تفعل ، قد زُلمت وسويت ووضعت في الكعبة ، يقوم بها سدنة البيت ، فإذا أراد رجل سفراً أو نكاحاً أتى السادن فقال : اخرج لي زلماً ، فيخرجه وينظر اليه ، فاذا خرج قدح الأمر مضى على ما عزم عليه ، وان خرج قدح النهي قعد عما أراده ، وربما كان مع الرجل زلمان وضعهما في قرابه ، فاذا أراد الاستقسام أخرج أحدهما »[1] .

و « قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الأمر فيه ولم يصح لهم أخذوا قداحاً لهم فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل ، نعم لا خير ، شر بطيء سريع ، فأما المداراة فإن قداحاً لهم فيها بيضاً ليس لهم فيها شيء ، فكانوا يجيلونها فمن خرج سهمه فالحق له ، وللحضر والسفر سهمان ، فيأتون السادن من سدنة الأوثان ، فيقول السادن : اللهم أيهما كان خيراً فاخرجه لفلان ، فيرضى بما يخرج له ، فإذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القدّاح وفيها : صريح ، وملصق ، فإن خرج الصريح ألحقوه بهم ، وان خرج الملصق نفوه ، وان كان صريحاً ، فهذه قدّاح الاستقسام »[2] . « وان كان بين اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهماً وأجالوا القداح ، فمن خرج سهمه فالحق له »[3] .

وذكر ان أقداح (هُبل) سبعة ، وضعت قدّامه . فان أراد أحدهم سفراً أو عملاً أو تجارة أو زواجاً أو بتّاً في نسب مشكوك فيه أو دفع دية أو ان

---

١ اللسان (١٢/٢٧٠ وما بعدها) .
٢ نهاية الارب (٣/١١٧ وما بعدها) ، تفسير ابن كثير (٢/٦) ، الدرالمنثور (١/٣١٩) .
٣ صبح الاعشى (١/٤٠٢) .

يخرجوا ماءً ، أتوا هُبَلَ ، ومعهم مائة درهم وبجزور فأعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم ، وكانت أزلامهم سبعة قدّاح محفوظة عند سادن الكعبة وخادمها ، وهي مستوية في المقدار عليها أعلام وكتابة قد كتب عـلى واحد منها (أمرني ربي) وعلى واحد منها (نهاني ربي) وعلى واحد (منكم) وعلى واحد (من غيركم) وعلى واحد (ملصق) وعلى واحد (العقل) وواحد غفل ليس عليه شيء ، فاذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذي تصدوا له استقسم لهم صاحب القداح بقدحي الأمر والنهي ، فان نجح قدح الأمر ائتمروا وباشروا فيما تصدوا له من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك مما يتفق لهم ، وإن خرج قدح النهي أخروا ذلك العمل الى سنة فاذا انقضت أعادوا الاستقسام مرة أخرى .

ويروى ان السؤال إن كان يخص اقداماً أو احجاماً ، استعمل صاحب القداح قدحي (نعم) أو (لا) فاذا ظهر للمجيل قدح (نعم) عمل به ، ومضى الى ما قصد ، وإن جاء (لا) أي النهي توقفوا سنة . أما اذا كان نزاعاً في نسب أحد منهم ، استقسم بالأزلام الموسومة بـ (منكم) و (من غيركم) و (ملصق) ، فان ظهر (منكم) ، اعتبر المتنازع على نسبه منهم ، وإن خرج (من غيركم) اجتنبوه ونفروا منه ، وان ظهر (ملصق) ، بقي أمره على ما كان عليه قبل الاستقسام ، وأما اذا كان السؤال نزاعاً في (العقـل) : أي دية القتيل ، بأن اشتبه عليهم القاتل ، أحضروا من اتهم بالقتل بالقدحين الموسومين بـ (العقل) وبـ (الغفل) ، واستقسم بهما ، فمن خرج عليه العقل تحمّل الدية ، وإن خرج (الغفل) أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب عليه[1] .

ولما أراد (أبو سفيان) الخروج الى (أحد) ، استخار هبل . بأن كتب على سهم نعم ، وعلى آخر لا ، وأجالها عند هبل ، فخرج سهم نعم ، فخرج بقومه الى (أحد) . وقال يقول : أعلُ هبل . وقال عمر : الله أعلى وأجل ، قال أبو سفيان : أنعمت فعال عنها ، أي اترك ذكرها ، فقد صدقت في فتواها ، وأنعمت ، أي أجابت بنعم[2] .

---

١ بلوغ الارب (٣/٦٦ وما بعدها) ، الاصنام (ص ٢٨) ، النهاية (٣/٢٦٨) ، تاج العروس (٨/٣٢٦) ، تفسير الطبري (٦/٤٢ وما بعدها) .

٢ اللسان (١٢/٥٨٩) .

ولصاحب الأزلام وخازنها حق يتقاضاه من الطالبين في مقابل عمله . فكان سادن (هُبل) يتقاضى مئة درهم أجراً عن الاستقسام ، كما سبق ان ذكرت، فان تكرر ذلك زيد أجره على ما يذكره الرواة . وقد كان غير العرب يدفعون حلواناً الى صاحب الأزلام ليتنبأ لهم . فلما انطلق (شيوخ مديان) (مدين) و (مؤآب) الى (بلعام) ليستقسم لهم ، حملوا حلوانهم معه ، فقدموه اليه مقابل ما قام به من عرافة اليهم[1] .

وقيل للذين يضربون بالقداح (الضرباء)[2] . والواحد الضريب والضارب . وهو الموكل بالقداح ، وقيل الذي يضرب بالقداح . يقال هو ضريب قداحٍ[3] .

وقد أشير الى الاستقسام في شعر الشعراء الجاهليين ، وقد ذكرت في قصة الشاعر (امرىء القيس) الكندي حينما جاء الى الصنم (ذي الخلصة)، ليستقسم عنده بشأن الأخذ بثأر أبيه . فلما خرج النهي عنه ثلاث مرات ، غضب على صنمه ، وكسر الأزلام ورماها في وجهه ، كما يقول الرواة قائلاً : « لو كان أبوك المقتول لما نهيتني» ، وأنشد :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا لم تنه عن قتل العداة زورا

وأشار الحطيئة الى ذلك بقوله :

لم يزجر الطير،إن مرت به سنحاً ولا يفيض على قسمٍ بأزلام[4]

وقال طرفة :

أخذ الأزلام مقتسماً فأتى أغواهما زلمه[5]

وهناك طرق عدة عرفت عند الشعوب القديمة في التكهن بالسهام ، ومنها رمي السهام في الهواء لمراقبة حركاتها وكيفية سقوطها ، ومنها رمي حزمة من السهام أمام الصنم ، فالسهم الأول الذي يقع قبل بقية الأزلام ، يكون هو السهم الذي

---

١ العدد ، الاصحاح الثاني والعسرين ، (الآية ٧ وما بعدها) ، Hastings, p. 567.
٢ الاشتقاق (٢٧٨) .
٣ اللسان (١/٥٤٧ وما بعدها) .
٤ اللسان (١٢/٢٧٠) ، الاصنام (٤٧) ، نهاية الارب (٣/٦٧) .
٥ اللسان (٢/٢٧٠) .

أمر به الصنم في زعمهم ، فيعمل بموجب ما كتب عليه[1] .

ولخّص (الألوسي) الأزلام التي كانت عند العرب على ثلاثة أنحاء : أحدها: قداح الميسر العشرة ، وثانيها : لكـــل أحد ، وهي ثلاثة على أحدها مكتوب (افعل) ، أي أمر ، وعلى الثاني (لا تفعل) وعلى الثالث (غفل) . فاذا أراد أحدهم الأمر جعلها في خريطة ، وهي (الربابة) وأدخل يده فيها وأخرج واحداً ، فان طلع الآمر فعل أو الناهي ترك أو الغفل أعاد . وثالثها : للأحكام وهي التي عند الكعبة . وكانوا يتحاكمون عند (هبل) في جوف الكعبة . وكان عند كل كاهن وحاكم للعرب مثل ذلك . وكانت سبعة مكتوب عليها ما سبق[2] .

و (القُرعة) أي (السهمة) ، نوع من أنواع التنبؤ بالغيب التابعة للاستقسام بالأزلام . و (السهمة) هي رضاء بحكم (السهم) ، أي بحكم وقوع السهام على الأشياء . وهي جواب فصل يمثل ارادة الآلهة للسائل أو للمختصمين في أمر من الأمور . وقد قيل للسهم: الحظ والنصيب[3] ، لأنه يتكلم عن حظ الانسان ونصيبه .

والتنبؤ بالتفرس في الأشباح الـــتي تظهر على الماء ، أو الزيت المصبوب في الأقداح ، أو الحركات التي تظهر على سطح السائل بعد رمي شيء فيه ، لمعرفة الأسرار والمغيبات والاجرام كالسرقات والقتل ، والزنى ، ودراسة سطح المرآة : هذه وأمثالها كانت معروفة عند البابليين والعبرانيين ، وعند غيرهم من الشعوب. وعقيدتهم أن الأرواح هي التي ترشد الى اظهار المخفيات ، وان هنـاك مأمورين من بينهم واجبهم اخبار العراف والعائف والكاهن بما يطلب منهم معرفتـه ليقوله للسائل[4] .

ومن ضروب التنبؤ (الطرقُ) ، وهو الضرب بالحصى للكشف عن المستقبل، يقوم بذلك الرجال والنساء . ويقال للقائمين بذلك الطُرّاق والطوارق[5] . وورد ان الطرق : الضرب بالحصى والخط في التراب ، وهمـا ضربان من التكهن . وقيل أيضاً : الطرق : أن يخـــط الرجل في الأرض بإصبعين ثم باصبع ، ويقول :

---

١ Hastings, p. 567.
٢ بلوغ الارب (٣/٦٧ وما بعدها) .
٣ تاج العروس (٨/٣٥٢) ، « سهم » .
٤ Ency. Religi., 4, p. 807.
٥ النهاية (٣/٤٠) .

ابني عيان اسرعا البيان،وزعم بعضهم أن الطرق ان يخلط الكاهن القطن بالصوف فيتكهن . وقد نهي عنه في الإسلام . ورد في الحديث:انه قال : الطرق والعيافة من الجبت[1] .

ويدخل في ضروب التنبؤ (الخط) « وهو الذي يخطه الحازي . يأتي صاحب الحاجة الى الحازي فيعطيه حلواناً ، فيقول له : اقعد حتى أخط لك ، وبين يدي الحازي غلام له معه ميل ، ثم يأتي الى أرض رخوة فيخط فيها خطوطاً كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين،وغلامه يقول للتفاؤل : « ابني عيان ، أسرعا البيان » ، فان بقي خطان فهما علامة النجح ، وإن بقي خط واحد فهو علامة الخيبة ... وقيل : الخط هو ان يخط ثلاثة خطوط ، ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى ، ويقول : يكون كذا وكذا . وهو ضرب من الكهانة »[2] . وكانت العرب تسمي ذلك الخط الذي يبقى من خطوط الحازي الأسحم . وكان هذا الخط عندهم مشؤوماً . وقد كان الخط من علوم العرب القديمة[3] .

وعلم الخط هو علم الرمل . وينسب الى (ابن عباس) قوله : علم قديم تركه الناس . وخط الزاجر في الأرض ، رسم خطاً باصبعه ، ثم زجر . وذكر ان (الخطيطة) الرملة التي يخط عليها الزاجر ، وان الأسحم اسم خط من خطوط الزاجر ، وهو علامة الخيبة عندهم . وذلك ان يأتي الى أرض رخوة وله غلام معه ميل ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة على عجل لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها خطين خطين ، فان بقي من الخطوط خطان ، فهما علامة النجح وقضاء الحاجة ، ويمحو وغلامه يقول للتفاؤل : ابني عيان أسرعا البيان ، واذا محا الخطوط ، فبقي منها خط ، فهي علامة الخيبة[4] .

---

١ اللسان (١٠/٢١٥) ، (طرق) ، تاج العروس (٦/٤١٧) ، (طرق) ، لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولازاجرات الطير ما الله صانع
النهاية (٣/٤٠) ، اللسان (١٧/٨٤) ، سنن أبي داوود (٤/١٦) .

٢ النهاية (١/٣٠٣ ، ٣٣٨) « خطط » ، (٣/٤٠) « طرق » ، تاج العروس (٦/٤١٧) ، اللسان (١٧/٨٥) .

٣ اللسان (٧/٢٨٧ وما بعدها) ، (خطط) .

٤ تاج العروس (٥/١٣١) ، (خطط) .

الأحلام :

والأحلام (Dreams) و (الرؤيا) (Visions) باب من أبواب الكهانة كذلك، فهي تفسير لما سيقع في المستقبل من حوادث . وقد تخصص بذلك أناس تعاطوا تعبير الرؤيا والأحلام . وإذ كان اعتقاد الشعوب القديمة ان الأحلام حقيقة ، لا كما نتصورها نحن ، كان الاهتمام بها كبيراً ، والاعتناء بها شديداً ولا يزال يخصها كثير من الناس بالعناية .

وقد فسرت بعض الشعوب القديمة الأحلام بأنها الآلهة أو الأرواح تتجلى في الإنسان في أثناء منامه ، فتطلعه على أشياء كثيرة تتعلق بحياته ومصيره ، وتساعده بذلك على حلّ مشكلات عديدة عويصة لديه ، أو تهديه الى أمور لم يكن يعرف عنها شيئاً ، أو تحذره بقرب حلول كارثة أو خطر به أو بغيره ، أو بحصول خير له أو لغيره . وقد ترجع به الى أيام ماضية وحوادث قديمة سالفة كان قد نسيها وذهبت من ذاكرته . ونجد في المؤلفات اليونانية واللاتينية والسريانية وفي الكتابات الهيروغليفية والمسمارية أشياء عديدة من القصص المتعلق بالأحلام . وفيها أن كثيراً من الملوك والخاصة كانوا يقيمون وزناً عظيماً لما يرونه ، أو يراه الناس من أحلام . وقد نجح كثير منهم كما خسر كثير منهم أيضاً بسبب تأثير الأحلام فيهم ، حتى إن بعضهم اتخذ له مفسراً للأحلام أو جملة مفسرين ، ليكونوا في خدمته حتى اذا ما رأى حلماً فسروه له .

ولما كانت بعض الأحلام مزعجة ، رجع الكهان المتخصصون بالأحلام أسبابها الى فعل الأرواح الشريرة . أما الأحلام المريحة الطيبة ، فقد جعلوها من إلهام الآلهة في الانسان . ولأهمية الاعتقاد بالأحلام ، وضعت قواعد وتعاليم للأشخاص الذين يريدون معرفة مستقبلهم بالرؤيا والأحلام . وقد نصح في بعضها باجتناب الأكل الثقيل ، وبشرب بعض الأشربة المعينة وبالنوم في المعابد ، للحصول على الرؤيا الصادقة ، والابتعاد عن أضغاث الأحلام . وضع تلك القواعد أناس تخصصوا بهذا الفن ، يلجأ اليهم من يرى حلماً ليجد تفسيره عندهم . فلكل شيء في الرؤيا والحلم معنى خاص ، لا يمكن ان يعرفه إلا ذوو الخبرة والعلم[1] .

وقد عثر على كتابة لحيانية في موضع (الخريبة) ، تبين منها وجود صنم في معبد هذا الموضع تخصص بتفسير الأحلام[2] .

---

١ مقدمة ابن خلدون (١/١٠٣) .

٢ Jaussen — Savignac, Mission, II, p. 417, Euting 825, Arabien, S. 89.

وفي كتب التفسير والسير والأخبار والأدب أمثلة عديدة من الرؤيا ، تشير الى ان الاعتقاد بالأحلام كان معروفاً عند الجاهليين ، وان أثره كان عميقاً في حياتهم. وقد يكون لأهل الكتاب أثر عليهم في كيفية تفسير الأحلام وتوجيه تعبير الرؤيا، غير ان الاعتقاد بالأحلام هو اعتقاد عام ، وكان يقوم به متخصصون بتفسير الأحلام . وقد عرف في الاسلام واشتهر به (ابن سيرين)[1] .

وقد عرف بعض العلماء الاسلاميين الحلم بأنه عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء المزعجة ، وخصصوا الرؤيا بما يراه الانسان في منامه من الخير والشيء الحسن[2] . وهم بذلك على طريقة القدماء في جعل الأحلام نوعين : أحلام من فعل الشيطان والأرواح الخبيثة ، وأحلام من إلهام الآلهة في الانسان ، وهي التي تنكشف من رؤية أشياء جميلة وعن أشياء يرغب صاحب الحلم في الحصول عليها وتحقيقها.

ويرجع العلماء الرؤيا الى النفس ، تطلع على الواقعات فتتذكرها ، وتوحي بها الى صاحبها . وهم يعتقدون بها ، وجعلوها جزءاً من النبوة[3] .

---

١ (كتاب التعبير) ، عمدة القارىء (١٢٦/٢٤) ، الفهرست (٤٣٩) . (الكتب المؤلفه في تعبير الرؤيا) .

٢ النهاية (٢٨٩/١ وما بعدها) ، تاج العروس (٢٥٥/٨) ، (حلم) .

٣ مقدمة ابن خلدون (١٠٢/١ وما بعدها) .